٢٥ حبـــــة

شروق إلهامي

- أتدرين أنني هنا الآن بسببك؟
- لاحظت هذا.
- وانني آتي يوميًا هنا منذ ما يقارب الشهر فقط لأراك، بالرغم من أنك لم تلاحظيني!
- بل لاحظتك.
- حقًا؟!
- نظراتك فضحت اهتمامك.
- لماذا تجلسين وحدك ؟
- أمرٌ لا يعنيك.
- ألا يشفع لي الشهر في دك أسوار الصمت.
- حسنًا، هي قصة طويلة ملخصها أني أهرب لهنا من الناس، وفي ذات الوقت أبحث عن حلٍ لمشكلتي.
- وهي ؟
- مُصِرّ؟
- نعم؟

obeikandl.com

أتى النادل ووضع أكواب العصير التي تطفو على سطحها مكعبات الثلج الصغيرة، فطلت من عينها أشباح سوداء شديدة الطول تأملتنا بسخرية ثم عادت لعينها وتوارت مجددًا، فتنهدت الفتاة بعمقٍ تنهيدةٍ حارة أذابت الثلج في كوبها ففاض، ولكنها لم تعبأ لذلك.

كانت بيضاء شديدة النحول والشحوب، كنت أظن هذا البياض الشاهق مساحيق تجميل، ولكني حين جلست معها اليوم عن قرب وجدت أن وجهها يخلو من أية مساحيق، بل يخلو من الدموية نفسها إن رغبت توضيحًا أكثر، كممثلي أدوار مصاصين الدماء، شعرها أسود قصير يتراقص بحرية على جانبيّ وجهها، وخلال الشهر الذي جلست أتابعها فيه رأيته في عدة أشكال فقد كان طويلًا في البداية، وكانت تقصه حينًا وتصففه أحيانًا، وأحيانًا أخري تتركه مبعثرًا، ومؤخرًا قصته وقصرته هكذا، فأعدتُ هذا الأمر لنفسيتها ليس إلا، فهي بشكلٍ واضح لا تعبأ بنظرات أحد، هي فقط تأتي لتظل تتأمل النيل من السادسة حتى التاسعة في صمتٍ بلا أي شعور بالملل.

ارتشفت من كوبها الممتليء لنهايته بالماصة؛ ليصبح العصير في مستوى معتدل ثم أحاطت الكوب بمنشفة المنضدة، وجففته وبعدها احتضنته بصعوبة بكفها الأيمن لصغر حجم يديها، ثم مدت كفها الأيسر والتقطت يدي ووضعتها علي عنقها بشكل أدهشني وأحرجني في ذات الوقت وقالت بجدية:

- حل العِقْد عن رقبتي .

لأول مرة أنتبه لهذا العِقْد رغم أنها ترتديه يوميًا، كنت أراه من مكاني البعيد من قبل كحبات لؤلؤية الشكل بدرجة لون بيضاء داكنة كالعاج يحيط بعنقها في دلال، ولكن اليوم وأنا بجانبها رأيته بشكل أوضح أفزعني، تلك الحبات كانت جماجم صغيرة تصطف حول عنقها، جماجم تذكرك بأجواء عبدة الشيطان قديمًا، وكان العِقْد ضيق بحيث أنه يجب أن يكون له طرف يفك منه لذا بتردد قمت ووقفت خلفها لأبحث عن هذا الطرف فلم أجده بنظري، وترددت أكثر أن ألمس رقبتها في أول مرة أجلس معها فيها، ولكن انحناءة رأسها للأمام لتسهيل المهمة لي دفعتني لأن أكمل ما قمت لأجله فلمست العِقْد أولًا ولكن أفزعني رد الفعل وجعلني أقفز للخلف بشكل ملفت للأنظار.

لقد أنكمش نحو عنقها وكأنه يرفض أن يقترب منه أحد، اقتربتُ بترددٍ أكثر ومسكت العِقْد ولكن سرعان ما سحبت يدي مجددًا حين وجدت أن فك كل جمجمة منهم بدأ يتحرك للأعلى وللأسفل بقوة وسرعة، وكأنها تعض شيء أو تهدد بعض أنامل من يقترب منها، فوقفت أمامها منذهلًا فاغرًا فيَّ، فعدلت الفتاة رأسها ومدت يدها أمسكت ذراعي وأعادتني للجلوس أمامها، وكنت أطيعها مسلوب الإرادة كالطفل الصغير.

عادت تشرب عصيرها وهي تنتظرني حتي أفيق من صدمتي، وقد أخذت دقائق حتى تمكنت من العودة لوعيي و إدراكي، وتمكنت من صف كلمات في جملة ذات معنى في رأسي لكي أنطق بها فسبقتني هي وألغت جدوى تلك الجملة بكلماتها!

- لماذا حكيت لك في أول حوار بيننا؟ إصرارك دفعني لقول الحقيقة لأبعدك، هذا العِقْد اشتريته منذ عدة أعوام من بائعه متجولة مرت عليّ هنا، كانت حباته مجرد كُرى مستديرة كاللؤلؤ، يربطهم ببعض حبل مطاطي متين ولكن مرن، قابل للتمدد لنزع العِقْد عن الرقبة، كان رخيص الثمن ورقيق الطابع فلفت نظري فاشتريته، ولكن من وقتها كلما مات قريب لي يتغير شكل كرة منهم، تأخذ شكل الجمجمة ولكن بلا ملامح، ثم أنتبهت أن زيارة الموت أصبحت متكررة بشكل مكثف مخيف، والكُرى تتغير واحدة تلو الأخري، خفت ونزعته عني، ولكن بعد فترة غلبني فضولي، والشكوك بعدم منطقية استنتاجي جعلتني أعيد ارتداءه، فرحلت أمي، أغلي من أملك، ويوم وفاتها وجدت العِقْد قبض علي رقبتي، وحباته ظهرت ملامحها وأصبحت بشكل جماجم واضحة، بل وامتنع عن أن ينزع بواسطتي أو بواسطة غيري، بتلك الألية الدفاعية التي رأيتها منذ قليل، وفشلت بكل الطرق في نزعه، فأصبحت آتي إلى هنا بشكل دوري لعلي أجد من باعتني إياه، أو أجد جرأة تجعلني أتخلص من وجودي في النيل وأنقذ الناس.
- تنقذي الناس؟ ماذا تقصدين؟
- أنقذهم من الدخول في حياتي.
- لا أفهم.
- حتى لا يخسروا أهلهم.
- ولكن...

وقبل أن أكمل جملتي رن هاتفي المحمول ووجدت أخي يبلغني بوفاة أحد أقاربنا، ورأيت ابتسامة جانبية ساخرة صغيرة باهتة كملامحها، رغم أنها علي مسافة مني تمنعها من سماع ما قاله أخي ولم أرد عليه بكلمات، ناهيك عن أن المكان عام والأصوات حولنا تمنع ذلك تلقائيًا.

- أهرب بسرعة.

فقمت في صمت، لست أدري أنادمًا على الشهر المهدر من حياتي علي أمر مستحيل، أم علي وفاة قريبي أم عليها؟! نقدت النادل تكلفة مشروبينا وبعد أن سار نظرت لها نظرة أخيرة فوجدت رأسها محنٍ للأمام وشعرها يغطي ملامحها، ولكن قطرات سقطت وشت بأنها دموع ولكن بعد ثوان اعتدل رأسها وعادت لتأمل النيل في صمت.

opeikandi.com